الفصل الأول

أنواع الذئاب وصفاتها

أنـــواع الذئـــاب

ذئـــاب الجزيـــرة العربيـــة Canis Lupus Arab

هو أصغر أنواع الذئاب. أطرافه طويلة، وذيله يتدلى إلى العقب يغطيه شعر خشن، طرفه أسود، وقمته سوداء وبيضاء. رأسه غليظ، وخطمه، أي: أنفه، ممدود، أي: طويل بارز، مدبب ينتهي بنهاية سوداء. جبهته عريضة. أذنه منتصبة صغيرة نسبيًّا. لون شعره يتفاوت بين الأصفر البني، إلى الرمادي البني، ممزوجاً ببعض السواد، مع وجود اللون الأسود على الظهر. يظهر اللون الأبيض على الخدود وتحتها وتحت البطن. أما شعر جسده، فقصير خشن. معدل الوزن: ٢٠-٣٠ كغ. معدل طوله ١١٤٠ ملم، طول ذيله ٣٢٠ملم.

ذئـــاب فلســـطين

ينتمي الذئب في فلسطين إلى الذئب الآسيوي الذي يقطن المنطقة الممتدة من سفوح جبال الهملايا بالهند حتى فلسطين.

وذئاب فلسطين ذئاب مناطق فسيحة، وهي لم تعش أبداً في الأشجار الكثيفة.

كما أن ذئاب فلسطين ذات تفاوتات في الحجم واللون. وهي تعد أكبر من ذئاب أوروبا وأقوى، ويزداد حجم الذئب في المناطق التي يكثر فيها سقوط الأمطار، بينما

obeikandi.com

يقل تبعاً لندرتها، إلا أن ذئاب الصحراء غير متساوية من حيث الحجم، وفي المناطق الجنوبية التي يقل سقوط المطر فيها تكون أصغر حجماً، إذ هي ذات جماجم صغيرة، وأجسامها صغيرة أيضاً.

ولا أحد يعرف مدى العلاقة بين الذئب كانيس لوبوس باليبس العربي، C.L. Pallipes، والذئب Canis Lupus Linnaeus حيث يتعايش النوعان جنوب وادي عربة، والمظنون به أن الذئب العربي كان يعيش وحده في هذه المنطقة نتيجة لاستعداده الطبيعي للظروف الصحراوية. وربما ساعدت الظروف المكانية وتوافر الغذاء على دخول الذئب كانيس لوبوس باليبس، ومنافسته للذئب العربي.

يظهر شَعَر الذئب كانيس لوبوس باليبس .C. L. P، والذئب العربي C. L. Arabs، قصيراً ودقيقاً في الصيف، إلا أن شعر الظهر أطول نوعاً ما في هذين النوعين حتى في الصيف، وذلك يعود إلى الحرارة الملتهبة في الصيف حين تضطر الذئاب إلى العمل ليلاً.

أما في الشتاء، فالشعر يكون طويلاً، ولكنه لا يصل إلى طول شعر الذئاب في أوروبا، إذ يبلغ طول الشعر في الصيف في هذين النوعين: ٣٠ ملم في الظهر و١٠ ملم في الجانبين .

يميل لون الوجه إلى الدكنة الصفراء المتقطعة، والسِّيقان، والجباه، والأذنان، فتميل إلى الصفرة البرتقالية الخفيفة. ويكون أسفل ظاهر السِّيقان وباطنها أبيضين، وجوانب الأنف صفراء رمادية [١] .

---

(١) David L. Harrison & Paul J. J. Bates, the Mammals of Arabia (Lakeside Printing, Harrison Zoological Museum, 1991,) p. 115.

الأنــواع الأخــرى

يتبين لنا من عدم الاتفاق في اللون: (أطلس - أطحل - أشهب...)، أن هناك أنواعاً أخرى غير تلك التي تذكرها الدراسات المعاصرة، وتتفق مع النوع العام.

فربما وجدت في الجزيرة العربية ذات يوم أنواع مختلفة من الذئاب، انقرضت الآن، فمن ذلك:

السلعام وهو الذئب الدقيق الخطم الطويله [١].

ذئاب الغضا، أو سرحان القصيم، أو سيد الرمل.

وذئب الغضا أخبث الذئاب، فهو أخبث من ذئب البراح، ولذا يقال: أخمر الذئب، إذا استتر بالخمر [٢].

الذئب القفر، وهو الذئب المنسوب إلى القَفْر [٣].

السمسم، الذئب الصغير الجسم [٤].

ذئب الرَّدْهة، الردهة: النقرة في الجبل، أو في صخرة يستنقع فيها الماء [٥].

---

(١) السيد محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس (القاهرة: المطبعة الخيرية، ط ١، ١٣٠٦هـ)، "سلعام".

(٢) حمزة بن الحسن الأصبهاني، الدرة الفاخرة، تحقيق: عبدالمجيد قطامش (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١م) ج١، ص ص١٩٠-١٩١، كعب بن زهير، ديوان كعب بن زهير (القاهرة: الدار القومية، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م)، ص١٣٠. أبو الفضل، أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) ج١، ص٣٣٣. ابن منظور، اللسان، "سيد".

(٣) الزبيدي، التاج، "قفر".

(٤) ابن منظور، اللسان، "سمسم".

(٥) المصدر نفسه، "رده".

أسمـــاؤه وصفـــاته

وقد أطلقوا على الذئب أسماء وصفات متعددة، لعل بعضها لم يكن معروفاً الآن، فمن أسمائه :

ابن الأرض [١]، امرؤ [٢]، الجَنِب [٣]، السُّعسُع [٤]، السَّمام[٥]، السِّلْق[٦]، السَّلَمَّع[٧]، الضَّابئ[٨]، الطِّلو[٩]، العِلْش [١٠] .

ومن صفاته : العَيِّل[١١]، القُطْرُب[١٢]، الهِطْل[١٣]، الهِلطَوس[١٤] .

---

(١) جلال الدين، عبدالرحمن السيوطي، المنى في الكنى، تحقيق: C. F. Seybold، ZDMG، ع٤٩ (١٨٩٥م) ص١٢٤ .

(٢) ابن منظور، اللسان، "مرأ".

(٣) المصدر نفسه، "جنب".

(٤) المصدر السابق، "سمع" . الزبيدي، التاج، "سعسع" .

(٥) رؤبة بن العجاج، ديوان رؤبة، ضمن مجموع أشعار العرب، تحقيق وليم بن الورد (لا يزغ: دروفوليين، ١٩٠٣م) ص١٥٠ .

(٦) ابن منظور، اللسان، "ألق".

(٧) المصدر نفسه، "سلمع" .

(٨) المصدر نفسه، "ضبأ".

(٩) الطرماح بن حكيم، ديوان الطرماح بن حكيم، تحقيق: عزة حسن (بيروت: دار الشروق، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ص٢٤١ .

(١٠) ابن منظور، اللسان، "علش".

(١١) الزبيدي، التاج، "عيل" .

(١٢) امرؤ القيس بن حجر، ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨م) ص٣١٦ .

(١٣) ابن منظور، اللسان، "هطل".

(١٤) المصدر نفسه، "هلطس".

openkandi.com

ومن أسماء الذئب أو صفاتها: السمعمعة[١].

ومما يؤكد لنا هذا أن: العَنَزَة ضرب من السباع بالبادية، دقيق الخطم، كالسلوقية، أو هو على قدر ابن عرس، وهو من جنس الذئاب[٢]. وإن قال ياقوت: "إنه شيطان، فلا يرى البعير فيه إلا مأكولاً" [٣].

وقد تكون العنزة هذه نوعاً من السباع، وليس من الذئاب، وإنما جعلها العرب من الذئاب لاشتباهها عليهم بالذئاب، ذلك أنهم عدُّوا سوى هذه من غير الذئاب، وذلك مثل:

ابن آوى: يثبت العلم أنه ليس بالإمكان التمييز بين أنواع الذئاب المعروفة بكانيس لوبس Canis Lupus، ومن بينها الذئب العربي، إضافة إلى ذئب فلسطين؛ وكذلك، ابن آوى (الشاكال The Jackal)، وهو أيضاً أكثر من نوع.

ولا يدل حجم الجعجعة على أيٍّ منها، إذ لابد من اللجوء إلى الحجم، واللون، وطبيعة الشعر، وخصائص الذيل؛ وهذه أمور يصعب إدراكها، دونما خبرة عميقة.

---

(١) المصدر نفسه، "سمع".

(٢) المصدر نفسه، "عنز".

(٣) شهاب الدين، أبو عبدالله، ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) "عنيزة".

وانظر، شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في مسالك الأمصار وممالك الأمصار في الحيوانات والنباتات والمعادن، تحقيق: عبدالحميد صالح حمدان (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط٢، ١٩٩٦م)، ص٧٧، الذي قال: "عنزة: حيوان دقيق (الخصر) يكون ببادية (المغرب)؛ قالوا: يأخذ البعير من قِبَل دبره، ويقتله، وقلما ترى، ويزعم أهل (المغرب) أنه شيطان، فإنه يختفي، ولا يرى إلا البعير المأكول".

وهنا تصحيفان هما: "الخطم"، "العرب".

وإذن، فهل ينطبق شيء من أسماء الذئب وصفاته على ابن آوى أيضاً؟ إن ذلك محتمل جداً.

المركبـــات

الأسُبور [١].

العِسبار : وهو ولد الضبع من الذئب [٢].

السمع : وهو ولد الذئب من الضبع، وعرّفوه بأنه لا يعرف الأسقام والعلل، ولا يموت حتف أنفه، بل يموت بعَرَض من الأعراض يعرض له. وليس في الحيوان شيء عَدْوُه كَعَدْوِه؛ لأنه في عدوه أسرع من الطير، ولقد قيل: إن وثبات السمع تزيد على عشرين أو ثلاثين ذراعاً[٣]، واستشهدوا بقول الشاعر في فرسه :

تـــراه حديد الطَّـــرْف أبْلَـــج واضحاً أغـــرَّ طَويلَ البَاع أسمَعَ منْ سِمْع [٤]

وفي قول تأبط شراً في الشنفرى :

وإذا يَعْـــــدُو فسمـــــعٌ أَزَلُّ

قالوا: "قال أزل، وجعله عادياً، ووصفه لذلك؛ لأنه ابن الذئب"[٥].

بل لقد قرّبوا بينه وبين الذئب في اللون والهيئة، فقالوا:

يهَـــا السِّمْـــع الأزلَّ الأَطْلَســـــا [٦]

---

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٣٥٢.

(٢) ابن منظور، اللسان، "عسبر".

(٣) الزبيدي، التاج، "سمع"..

(٤) المصدر نفسه.

(٥) أبو عمرو، عثمان بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٨٣م) ج١، ص١٨٣.

(٦) المصدر السابق، ج١، ص١٨٣.

فالزلل : مشية خاصة بالذئب، والطلسة : لون الذئب المائل إلى الكُحلي.

ولا يتفق هذا الاعتقاد أبداً مع التقارير العلمية التي تنفي أي ارتباط عضوي للذئب بالضبع لتباعد الفصيلة الذئبية عن الفصيلة الضبعية The Hyaeidae .

وقد حقق هذا الجاحظ في قوله:

"وأما الذين ذكروا في أشعارهم السمع والعسبار، فليس في ظاهر كلامهم دليل على ما ادعى عليهم الناس من هذا التركيب المختلف، فأدينا الذي قالوا، وأمسكنا عن الشهادة، إذ لم نجد عليها برهاناً" [١].

الدَّرْوان : ولد الضبعان من الذئبة [٢].

"وقد يمكن أن تسمح الضبع للذئب والذئبة للذيخ" [٣] : أي يتسافدا.

بل يقول: إن بنات آوى، والثعالب، والضباع، والكلاب، كلها كلاب؛ ولذلك تسافد وتلاقح" [٤]. ومع ذلك، يعود، فيقول:

"على أننا لم نتبيّن إلا الساعة أن الضباع، والكلاب، وبنات آوى، والذئاب، تتلاقح، وما رأينا على هذا سِمْعاً، ولا عِسباراً، ولا كل ما يعدّون وما ذكرهم لذلك إلا عن طريق الأخبار عن السرعة، أو عن ما يشبه ذلك"[٥].

ويقدم لنا العلم معلومة تحتاج إلى نظر فهو يذكر جنساً من الضباع يطلق عليه اسم العسبار Proteles Cristatus، أو Aard wolf [٦].

---

(١) المصدر نفسه، ص١٨٥ .

(٢) الزبيدي، التاج، "الدروان".

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج٧، ص٢٤٣. الذيخ: هو الضبعان، أي ذكر الضبع.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٢ .

(٥) المصدر نفسه، ص١٨٣ .

(٦) عزيز العلي العزي، الحيوان في تراثنا بين الحقيقة والأسطورة (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧م) ص٧٤ .

وهو جنس تفرّع عن جنس Ictitheres، المشابه كثيراً للضباع. ويوجد هذا النوع الآن في جنوب إفريقية، كما يمتد وجوده من وسط تنزانيا حتى شمال شرق السودان [١].

وهو يشبه ضبعاً، عرفاء صغيرة، لكن عرفه طويل الشعر منتصبه، وخطمه وأذناه مدببة أكثر من خطمها وأذنيها. وهو ينبش الأرض عادة، ليلتهم حشرة الأرضة.

إنه أصغر حجماً من الضبع المرقش Spotted Hyanae؛ لونه بني غامق يمتزج بسواد وبياض، وشعره في الرقبة طويل، وأذناه محددتان. مقدمه أضخم من مؤخره.

وهناك صفات مشتركة بين العسبار والذئب، منها:

أن العسبار كثير الحركة، لا يهجع ليله ونهاره. يتنقل من غذاء إلى آخر، على عكس الضبع المرقّش الذي يستريح، ويأكل كمية كبيرة. وشعره أكثر غزارة من الضبع المرقش. وغالباً ما يكون بمفرده، ثم هو يستَرْوِح الهواء، كما يفعل الذئب. وهو أقل عزيمة من الضبع المرقش [٢].

إذن، فالعرب حينما تحدثوا عن العسبار، أو السمع، أو الدروان، ظنوا أنها نوع من الذئاب، وذلك؛ لأن العسبار (أو السمع، أو الدروان)، ليس ضبعاً مرقشاً، أو مخططاً، فهم لم يحددوا نوعه، وإنما قالوا به على التوهم، إنهم لا شك لاحظوا الضبعية فيه، والتي اشتبهت عندهم بالذئبية.

يقول الكميت، يصف ذئباً:

يرانـي في اللِّمـام لـه صديقـاً وشادِنَـةُ العَسايِـرِ رَعْبَلِيـبُ [٣]

---

(١) M. G. L. Milles, The Kalahari Hyenae, (Cambridge Univ. Press, 1990) P. 9.

(٢) Ibid, p. 9 - 10, 71, 75, 79 268 – 269, ضبع عرفاء: أي ذات شعر كالعُرف، أي: ضبع مخطّط.

(٣) ابن منظور، اللسان، "رعبل". يراني: يعني الذئب. شادنة العسابر: أولادها. رعبليب: ملاطِفة، أو يمزق ما قدر عليه.

الارتباط الجنسي بالكلاب

إذا كان الاتصال الجنسي بالضباع مستحيلاً، مهما كان نوع الضبع، فإن الارتباط الجنسي بالكلاب ممكن؛ لأنهما من فصيلة واحدة، وهي الفصيلة الكلبية. ولهذا سمّت العرب نتاج هذا الاتصال بأسماء مثل:

الديسم: وهو ولد الذئب من الكلبة [١].

وفي هذا يقول بشار بن برد في ديسم العنزي:

أَدَيْسَمُ يَابْنَ الذِّئبِ مِنْ نَسْلِ زَارِعٍ

وزارع: اسم الكلب، ويقال للكلاب: أولاد زارع [٢].

العُسبور والعسبورة: وهما ولد الكلب من الذئبة [٣].

الكلاب السلوقية: نسبة إلى سلوق: مدينة باليمن، بها الكلاب الضواري، وذلك؛ لأن الكلاب بها يسفدها الذئاب، فتأتي بالكلاب السلوقية. وقد نسبوها إلى الذئاب، فقالوا: هي أخبث الذئاب [٤].

الخيهفعي: إذا وقع الذئب على الكلبة، جاءت بالسمع، وإذا وقع الكلب على الذئبة جاءت بالخيهفعي [٥].

وقد مر بنا أن السمع، أو العسبار، هما نوع من أنواع الضباع.

---

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٣٥٢.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص١٨٣.

وفي الديسم، يقول العزي، الحيوان في تراثنا، ص٤٦: "سفادُ الذئب الكلبة حالة نادرة بسبب اختلاف طبيعتهما، وإن كانا من جنس واحد". وهذا كلام غير علمي؛ لأن الإثباتات هي على عكس ما يقول.

(٣) ابن منظور، اللسان، "عسبر".

(٤) أبو عبدالله، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد، (بيروت: دار صادر، ١٩٦٩م) ص٤٥.

(٥) ابن منظور، اللسان، "خهفع". وانظر، الزبيدي، التاج، "خوع".

وقال أحمد غسان سبانو:

"الديسم: لعله الذي يؤتى به من أوروبا ويسمونه Chien – Loup" [١].

وفي مقال للمستشرق أ. ف. ل. بيتسون A.F.L. Beetson، أشار فيه إلى أن المستشرقين: يعقوب Jacob ونولدكه، يريان أن السمع من فصيلة الكلب الإفريقي المتوحش Hycaon، كما ذكر هو أن التزاوج بين النوعين: الذئب والضبع، ممكن، وهذه معلومة لا صحة لها، وقد أضاف قائلاً:

إن هذا التزاوج لا ينتج نوعاً جديداً.

وقال كذلك: إن هذا السمع يحمل بعض ملامح ابن آوى وبعض ملامح الضبع. أما ما رآه يعقوب ونولدكه، فغير صحيح؛ لأن الكلب الإفريقي كلب حقيقي مرقش، ذو أذنين طويلتين كبيرتين، يَحُف بهما الشَّعَر، مما يوحي بأنه حاد السمع. ثم إن هذا الكلب من حيوانات المناطق العشبية في شرق إفريقية، وهو لا يوجد الآن في الجزيرة العربية، ولم يعش ذات يوم فيها، ذلك أنه يعيش في شكل جماعات.

ويلاحظ بيتسون أن هناك حيواناً يعيش الآن في اليمن له الصفات نفسها التي ذكرها العرب.

وقد نقل بيتسون عن عرب شمال وادي حضرموت، على حدود الربع الخالي، أن السمع: قطّة.

ويوافق بيتسون على هذا الوصف؛ لأن القطة المتوحشة معروفة بشراستها غير العادية، ولكنه يتحفظ على وصف هذه القطة بحدّة السمع.

ثم هو ينقل عن د. ل. هاريسون D.L. Harrison، أن هذه القطة الرملية هي التي تدعى Felis Margatita.

---

(١) أحمد غسان سبانو، حيوانات وطيور بلاد الشام (دمشق: مطبعة خالد بن الوليد، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م) ص٣٣.

ويضيف بيتسون أن غالبية هذه الحيوانات، ذات آذان كبيرة، ولا يُستثنى من ذلك الثعالب، أو القطط المتوحشة [١].

ولكن العزي يرى أن السمع، هو الكلب الذئبي الإفريقي، ويقول: "ولا يزال معروفاً باسمه هذا في السودان إلى اليوم"[٢].

بل إن العزي يضيف قائلاً:

"الديسم فيما أرى هو الكلب الوحشي الآسيوي: Cuon Javanicas

وهو كلب أسمر اللون ذو ذيل أسود الطرف، أكبر من ابن آوى، يجتمع لصيد الظلفيات الكبيرة، والأيل صيدها المفضل. ينتشر الديسم في آسيا من سيبيريا شمالاً حتى الهند جنوباً ومنها يمتد انتشاره حتى جزيرة جاوة وسومطرة شرقاً" [٣].

أما فؤاد حسنين علي، فينقل رأي المستشرق الألماني جورج يعقوب Georg Jacob– عَجَباً – على النحو التالي:

"السمع: حسب تقرير الرحالة وعلماء الحيوان هو حيوان يشبه الكلب وفي حجم الحمار، إذا لم تصب الطلقة الأولى منه مقتلاً، تكوّنت عنده مناعة ضد الرصاص، وهو يهاجم الإنسان ويضربه بمخلبه الأمامي، فيبجر بطنه ويفترسه، ومن

---

(١) Beeston, A.F.L., The Heart of Shanfara, JSS, N.18 (1973), PP. 257 - 258 .

(٢) العزي، الحيوان في تراثنا، ص٦٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ص ٤٦- ٤٧ .

الدُّول/ الكلب الوحشي Dhole/Genus Cuon/Cuon alpinus/ Cuonalptnus/ Wild Dog، يقطن مناطق جنوب شرق آسيا حتى الهند . إنه يعيش في مجموعة تطارد الصيد.

ويختلف عن الكلب العادي في أن له طواحن أقل عدداً. وللإناث عدد كبير من الحَلَمات، ولونه بني فاتح . ويصطاد نهاراً، ويهاجم الغزلان، والخنازير البرية، وربما هاجم حيوانات أكبر كالدببة والنمور.

Majupuria Trilok Chandra, Wild is Beautiful (Bankok: Craftsman Press, st. 1981-1982) P. 350.

وانظر: Caras Roger A., Dangerous to Man (Philadelphia: Chiton Co.) 1975 P. 94 - 97

شدة خطره وقوة بأسه لا يستطيع الفرد السير ليلاً إلا في صحبة قافلة، ويطلق عليه علماء الحيوان اسم ليكاون بيكتوس Lycaon Pictus، وهو مشهور بقوة السمع حتى يضرب به المثل" [١].

وهذا الوصف هو الذي رفضه بيتسون، على أساس أن هذا النوع لا يعيش منفرداً، بل في جماعات. وهو رأي صائب، أُجريت عليه دراسات معاصرة [٢].

ولو قبلنا أن السمع ضبع، حسبما ذكرنا آنفاً، فهذا يعني أن السمع اسم مرادف للعسبار، أي: أنه هو العسبار. أما إذا جعلناه قطة صحراوية متوحشة، فهو يخرج عن جنس الضباع، وجنس الذئاب، أو الكلاب، ويدخل في جنس القطط، أي: الأسود والنمور، والفهود ... إلخ.

ونكاد نقترب الآن من وصف يكاد يكون علمياً للسمع، أو العسبار، وهو وصف يتفق مع ما جاء في اللسان عن "الخيهفعي"، الذي يقول عنها:

"دابة تخرج بين النمر والضبع، يكون باليمن، أغضف الأذنين، غائر العينين، مشرف الحاجبين، أعصل الأنياب، ضخم البراثن، يفترس الأباعر"[٣].

وعلى هذا، فإن رأي العزي في السمع والديسم بعيد الاحتمال.

أما عن الدقة في تحديد المسمّيات، أي: "سمع"، أو "خيهفعي"، أو حتى الأخطاء العلمية، فهي التي بيّنا وجه صوابها، فمن هذه الأخطاء زعمهم أن الديسم ولد الثعلب من الكلبة [٤].

---

(١) فؤاد حسنين علي، لامية العرب، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة (١٩٤٨م) ص ص٤٨-٤٩.

(٢) انظر كتاب: Jonathan Scott, Painted Wolves (London: Hamish Hamilton ltd., 1991).

(٣) ابن منظور، اللسان، "خهفع". أعصل: معوَجّ.

(٤) الزبيدي، التاج، "دسم".

وما يستوقفنا في هذا الوصف هو قوله: "أغضف الأذنين"، وقوله: "يفترس الأباعر"، الأمر الذي يخرجه عن وصف القطة البرية المتوحشة، ويدخله في وصف الوَشَق The Caracal Lynae، فلقد جاء في ملاحظات كريستيان كروس عن هذا الحيوان الذي جعله من فصيلة Felis Silvestris، وليس من فصيلة Felis Margarita، كما فعل هاريسون، أي أن هذا الحيوان هو الوَشَق، ووصفه كالتالي:

"تتراوح عرض أكتاف الوشق العربي من ٤٠ إلى ٤٥ سم، وهو ليس كالقطة الصغيرة بأية حال من الأحوال. جسمه قوي ونحيل، وأقدامه طويلة نسبيًّا، يغطيه فِراء أصفر، أو قريب من لون الرمال. جسمه صغير. ووجهه ذو ملامح سوداء، فأذناه سوداوان تعلوهما شعيرات سوداء طويلة" (١).

ويقول كروس عن سَمْع الوَشَق:

"يتميز الوشق بحدة السمع؛ نظراً لكبر أذنيه، وهو حسّاس لأدنى حس أو همس، لالتقاط الشعيرات البارزة في أذنيه الذبذبات الصوتية الخفية"(٢).

أما عن صيده، فيقول: "إنه يقتل الصيد الكبير، إذا أتيحت له الفرصة، فهو يصيد النعام، والماعز الجبلي، والوعول..." (٣).

إذن، فالسمع، أو العسبار، هو: الوشق، الآن. ومع ذلك، فقد جاء في موسوعة الحيوان عند العرب:

"السمع Lycaon Pictus: حيوان من أكلة اللحوم بين الذئب والضبع عليه بقع سود وبيض وصفر" (٤).

---

(١) Gross, Mammals of The Southern Gulf P.55.

(٢) Ibid.

(٣) Ibid.

(٤) فلاح خليل العاني، موسوعة الحيوان عند العرب (عمّان: مطبعة البهجة، ط١، ١٩٩٧م) ص١٢٩.

بل جاء في كتاب حيوانات وطيور بلاد الشام:

"السمع: حيوان ضار شبيه بالذئب الذي يسمى في أنحاء حلب: الشيب" (١).

وفيما يتصل بحديثنا عن هذا النوع، ننظر في قول تأبط شراً:

تضحـكُ الضبـعُ لقتلـى هُذَيـلٍ وتـرى الذئبَ لهـا يَستَهِـلُّ (٢)

فهم فسّروا قوله: "تضحك"، بأنه: تكشر عن أنيابها. وهذا معنى مجازي قد نقبله. أما في واقع الأمر، فالضباع المخططة تصدر أصواتاً، ضحكاتٍ، أو بتعبير آخر The Striped Hyaena with its unearthly Laughing cry (٣)، أي: التعشير (٤).

وبهذا نفهم قوله: "تضحك"، على أنه يعني أصواتاً كالضحك، وهكذا يمكن أن نفهم قوله: "يستهل"، على أنه نوع من الأصوات الشبيهة بتلك، مما يُقَربٌ لنا الآن كثيراً الصورة إلى نوع هذا الذئب: The laughing hyaena

وإذا كان التكشير: الضحك، خاصاً بالضبع، فإن هذا يفسر لنا أن هناك خلطاً بين الضباع والذئاب، وتحدثوا عن النوعين على أنهما نوع واحد، فتناقلوا الوصف فيما بينهم حتى أصبح الضبع ذئباً. يقول الفرزدق في نونيته الشهيرة عن الذئب:

فقلـــت لـــه لما تَكَشَّـــر ضاحكـــاً

---

(١) سبانو، حيوانات وطيور بلاد الشام، ص٣٣.

(٢) تأبط شراً، ثابت بن جابر، ديوان تأبط شراً، تحقيق: علي ذو الفقار شاكر (بيروت: مطبعة المتوسط، ط ١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص٢٥. وانظر صورة الوَشَق والقط الصحراوي. محمد فكري أنور، عالم الحيوان في المملكة العربية السعودية، مجلة الفيصل، ع٩٨، (شعبان ١٤٠٥هـ/مايو ١٩٨٥م) ص ص ١٠٨-١١٠. يوسف خليفة غراب، لغة الطبيعة في الجزيرة العربية، مجلة المنهل، ع٥٠٩ (جمادى الأولى، ١٤١٤هـ/أكتوبر، ١٩٩٣م) ص١٥٦.

(٣) Milles, the Kalahari Hyenae , p. 154.

(٤) ابن منظور، اللسان، "عشر".

فالتكشير (المعبَّر عنه بالضحك) خاص بالضبع، وهاهو عند الفرزدق يوصف به الذئب. ومهما كان الخلاف هنا حول المعنى المجازي، فإن تخصيص التكشير بالضبع، (المعبَّر عنه بالضحك) يطرح احتمالاً قوياً أن ذئب الفرزدق ذاك، إنما هو الضبع، ولاسيما أن الذئب لا يقترب من النار، بل يتحاشاها وينفر منها، كما سنرى، والفرزدق في نونيته يذكر النار:

دَعَوْتُ بناري مَوْهِناً فأتاني

وكيف يقول:

فَبِتُّ أُسَوِّي الزّادَ بيني وبينه على ضَوْءِ نارٍ تارةً ودُخان؟[1]

إن قول تأبط شراً السابق:

وترى الذئب لها يستهل

فـ"يستهل": من التهلل، والاستهلال في الفرح والصياح.

فالاستهلال على هذا ليس عواء، وإنما هو نوع من الأصوات التي تُعبر أيضاً عن الفرح، أي هو نوع من الضحك. ومن ثم يكون الذئب في قول تأبط شراً، ليس ذئباً، وإنما هو الضبع، ويفسر هذا الفهم أن الذئاب قلما تجتمع بالذئاب على الفرائس، وإنما تجتمع بالضباع، إذ تعمد الضباع إلى التكشير بأنيابها، وإثارة شعرها، وتفرز روائح نتنة تبعد الذئاب عن مزاحمتها،[2] فكأن الإشارة هنا إلى ضبع أنثى، وضبع ذكر، عدّه العرب ذئباً، وأنهما يجتمعان، فولّدوا القصص حولهما، من توالد وتزواج.

---

(١) همام بن غالب الفرزدق، ديوان الفرزدق، شرح: كرم البستاني (بيروت: دار بيروت، د.ت) ج٢، ص٣٢٩.

(٢) Harrington & Paquet, Wolf of the World, p. 189.

أما من الناحية العلمية، فإن الخلط ممكن بين صغار الذئاب وبنات آوى، إلا أنه يمكن، على قدر، وباجتهاد كبير، تمييز النوعين من بعضهما أحياناً، بلون الشعر، فشعر الذئب غالباً أطلس grey، أما ابن آوى، فشعره بني اللون مع اختلاط باللون الأسود على ظهره، ويغلب اللون الأبيض على أسفل رقبته وقدميه. وبنات آوى تعيش، كما الذئاب، في مجموعة، إلا أنها في حدود المناطق السكنيّة، وهي تبحث عن أي طعام، كما تأكل الخضروات، وفي بعض المناطق الأوروبية تأكل أنواع البطّيخ. وابن آوى يختفي في الصخور والشقوق. ومن المحتمل أن أعداد بنات آوى في الجزيرة العربية قليل [١] . وباستطاعة ابن آوى قتل الغزال. وأغلب مناطق وجوده حوالي الأحساء. وتشبه أصوات ابن آوى نباح الكلاب، وفي إفريقيا تحدّد بنات آوى مناطقها بالتبوّل، وليس معروفاً طريقة تحديد بنات آوى مناطقها في الجزيرة العربية [٢].

غير أن المشكلة هنا من التشابه في التعريف، ففي اللسان: "الوَعْوَع، والوَعواع: ابن آوى" [٣] .

إلا أن ياقوتاً يقول: "وعوع: هو ابن آوى الضخم" [٤] .

فإذن، لدينا نوعان من الوعاوع، أحدهما: صغير الحجم، كالكلب، وهو المشهور بين الناس الآن، بهذا الاسم، وباسم آخر، هو الواوي. والآخر ضخم، وهذا هو الذي يتحدث عنه العلم بشكل عام، بحيث تختلط صورته بصورة الذئب الصغير.

---

(١) Gross, Mammals of Southern Gulf, p.41

(٢) Jonathan Kingdon, Arabian Mammals (Bahrain: Ministry of Information, 1995) p76.

(٣) ابن منظور، اللسان، "وعع".

(٤) ياقوت، معجم البلدان، "وادي السباع".

وأما العرب، فتحدّثوا عن ابن آوى، "الوعوع" الواوي، المشابه للكلب، وهو ما يعرفه الناس الآن عنه، يقول الجاحظ: إن ابن آوى لا ينزل القِفار، وإنما يكون حيث يكون الرِّيف" [١].

كما ذكر الجاحظ أن صياح ابن آوى يشبه صياح الصبيان [٢].

وجاء في اللسان : "الواوا: صياح ابن آوى" [٣].

وعلى العموم، فقد جاء في مسالك الأمصار، لابن فضل الله العمري:

"ابن آوى: هو حيوان يفسد الكروم، والثمار، يأكل بعضها، ويفسد بعضها، يقال له بالفارسية: شغال؛ إذا وقع نظر الدجاج عليه، يأتيه، ولو على سطح عال، ويرمي نفسه بين يديه حتى يأكله... ومن العجب أن الدجاج إذا كان على الشجر، ولو مَرّ بها كل كلب وثعلب، وسنَّور، لا تتحرك ألبتة، فإذا مر بها ابن آوى، ألقت بنفسها إليه، حتى لو كان الدجاج مائة، لأتين إليه. وإذا أراد ابن آوى صيد طير الماء، جمع حُزمة من الحشيش، ويرميها في الماء، ويتركها حتى يستأنس الطير، ويقع عليها، فإذا استأنس الطير بها، جعل يمشي خلفها، ويصطاد ما يقدر عليه" [٤].

إن ما يميز "ابن آوى" عن سواه هو "العواء"، أو النباح، كالكلب، وهو في حجم الكلب، مهما تعدّدت تسمياته، أو اختلف فيه، إذ إن الصورة العلمية غير مستقرة عنه، فهو مثلاً في القبطية:

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج٦، ص٢٥٩ .

(٢) المصدر السابق، ج٣، ص٢٨٨ .

(٣) ابن منظور، اللسان، "أوا" . ولم تقم دراسات حتى الآن حول بعض الأنواع الكلبية، ففي نجد والمنطقة الشرقية من مناطق المملكة العربية السعودية هناك نوع من الكلاب تسمى : الجعري، كبيرة الحجم نسبياً، وتختلف عن الكلاب العادية تقاتل الذئب. وإن كان (الجعري) له مدلول آخر في جنوب المملكة يطلق على الضبع.

(٤) العمري، مسالك الأبصار وممالك الأمصار، ص١٣ .

أوتش، أي: C.Mosomelas: blacked-backed, Jackal C.Variagatus / Jackal . وهو في لبنان (جقل): وهو عندهم خلاف الواوي، ويعدو على الغنم. وفي مصر هو ابن آوى مصري، ذئب مصري: Eygption Jackal/ Canis Lupaster وهو "الوعوع": North African Jackal/ Anthus، وهو أيضاً: ابن آوى مجدّد، أو ذئب مجدد: Side-striped Jackal Canis Lateralis. أما في السودان، فهو: بعشوم. وهو في العراق: الواوي[١] ويلاحظ الصلة اللفظية بين ابن آوى والواوي.

ولم تقتصر هذه الأنواع على ما مر ذكره، بل إن النويري يضيف: "زعموا أنه يتولد بينه {أي: بين النمر} وبين اللبؤة سبع يسمى: الذراع؛ على قدر الذئب العظيم، كثير الجراءة، لا يأوي معه شيء من السباع والوحوش"[٢].

وقال ناهض بن ثومة:

رؤوسٌ أوصالٌ يُزايل بعضَها سباع تدلّت من أبانين والهَضب[٣]

ولا شك أن المقصود هنا بـ"السباع": نوع من الذئاب، وقد جاء في قصة قرّان بن يسار بن الحارث بن جَحوان بن فقعس:

"خرج قران حتى سند في أبان الأبيض، وهو جبل بين بني أسد وقيس، وهو كثير الأروى، وضروب الوحش، والماء، فجعل يتبع الوحش، فيرميها، ويقتلها، ويأكل من لحومها، ويشرب من ذلك الماء؛ فبينما هو كذلك، ذات يوم، إذا هو

---

(١) أمين المعلوف، معجم الحيوان، (بيروت: دار الراتب العربي، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ص ٤٧-٤٨. كما يسمى في الخليج: العُوَّه، إلى جانب: الواوي. ويلاحظ الصلة اللفظية بين: الوَعْوَع": العُوَّة.

John. G. Mcloughlin, C., The Canine Clan, (New York: The Viking Press, 1983) PP. 74 - 75 .

(٢) شهاب الدين، أحمد بن عبدالوهاب النويري، نهاية الأرب (القاهرة: مطابع كوستاتسوماس وشركائه، د.ت) ج٩، ص٢٤٤.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني (بيروت: دار الثقافة، ط٤، ١٣٩٨هـ/١٩٧٦م) ج١٣، ص١٨٧. يزايل: يفرّق. أبانان: جبلان بالقصيم.

(النمر)، قد طلع عليه، فتعرّض له كأنه يريده، فانتزع نبله، فأراه إياه، فبسط النمر أظفاره، فأراه إياه، فاستل قران سيفه، فكشّر (النمر) عن أنيابه، ثم أغمد قران سيفه، فخرج (النمر) مولياً، ومضى قران، فأتبعه (النمر)، فلما نظر إليه قران، رجع (النمر)، فمضى قران، فرجع (النمر) في أثره، فالتفت إليه قران، فولى (النمر)، فعرف قران أنه يدعوه، وقران يومئذ جائع، قد أخفق من الصيد قبل ذاك، فأتبعه قران والنمر يمشي قدامه، فوجد أروية قد دقّ (النمر) عنقها، فذبحها قران و(النمر) ينظر حوزة منه، ثم اقتدح قران ناراً، فاشتوى، وقطعها، وجعل يلوح على النار منها، ويرمي به إلى النمر، قَدَّد بقيَّتَها، فكانا كذلك، إذا اصطاد قران شيئاً، أطعم (النمر)، وإذا قتل(النمر) شيئاً، أرشد إليه قران، وكان لهما رُدْهة يرِدانها، فإن ورد (النمر)، تأخر قران، حتى يلغ من الماء، ويتمرّغ فيه، ثم يخرج، فيصدر، ويرد قران، وإن ورد قران قبله، تأخر (النمر) عنه حتى يشرب قران ويغتسل، فقال قران في ذلك، وكان لقران أخ بالشأم، يقال له الجون بن يسار، وهو يصف النمر:

خليلاي لا تَجْري الحَرابةُ بيننا ... شَرِيعتُنا لأيِّنا جاء أوّل

تَوَكَّلَتِ الأَرْوى لنا بطعامنا ... كلانا له منه شِواء مُرَعْبَلُ

ولي صاحب في الغار هَدَّكَ صاحباً ... أخي الجَوْن إلا أنه لا يُعَلَّل

كلانا عدوّ لو يرى في عدوّه ... مَهَزّاً وكل في العداوة مُجْمِل

إذا ما التقينا كان أعلا كلامنا ... صمات وطرف كالمعابل أطحل"[1]

فهذه صفة الذئب، وليست صفة النمر، فليس في القصيم، حيث "أبان" نمور، وإنما هناك تكثر الذئاب، وهذا "السبع" يقترب من الإنسان ذلك الاقتراب غير المعهود

(١) أبو جعفر، محمد بن حبيب، المحبر (تحقيق: إيلزه ليختن شتيتر (بيروت: المكتب التجاري، د. ت) ص ص ٢١٥- ٢١٧.

في النمر. ثم إن هذه القصة تتّفق مع كثير من القصص من أمثالها، في مصاحبة الذئب، وإطعامه، بل التعايش معه. والنمر يقفز، فيهاجم، ولا يكشر منتظراً، والتكشير للذئاب، في مثل هذه الحالة. ومع هذا، فالذي يقترب من الإنسان "ابن آوى" أو نوع من أنواعه، ولا يقترب الذئب من النار. ومن الملاحظ أن هناك تداخلاً في الخبر، إذ نجد الموقف نفسه مع القتال، في جبل "عماية" [(١)]، بعيداً عن القصيم، وحتى الموقف مع القتال لا يكون إلا مع الذئب لا النمر.

ومفهوم السباع القاصر على الذئاب لا يمكن تبيّنه إلا بالقرينة والاستدلال، إلا أن المعنى – بشكل عام – ينطبق على الذئب في كثير من الحالات، فمثلاً حين يقول أحد بني ضبّة:

فهــلا بنــي شــر السبــاع ثأرتم سَدوسـاً وقــد أجـزت سـدوس

ينصرف الذهن – في ضوء هذه الدراسة، وفي ضوء الدراسات السابقة – إلى أن المقصود بـ"السبع": هو الذئب، ولاسيما وقد اقترن هنا بالشرّ، وهي الحالة التي يوصف بها الذئب في الغالب. فإذا ما احتجنا إلى دليل، وجدنا المعنى: "شرّ السباع: عنزة؛ وهي دويبة صغيرة" [(٢)].

و"دويبة": تصغير دابّة، وقد مَرّ بنا تعريف اللسان: "العنزة: ضرب من السباع.... وهو جنس من الذئاب".

---

(١) الحموي، معجم البلدان، "عُمَان".

(٢) أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، المعاني الكبير، (حيدرأباد – الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ١، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) ج١، ص٥٧٩.

(٣) المصدر نفسه.

الصفات الجسمية للذئب العربي

اللون العام

الأطلس :

يكاد يكون هناك إجماع عام على أن لون الذئب هو اللون الرمادي. ويؤيد الشعر العربي هذا الإجماع تقريباً، فالمرقش، والبحتري، يصفان الذئب بأنه: أطلس: والطلسة: هي اللون الأغبر، أو المائل إلى الغبرة؛ وربما اشتدت غبرته حتى يخفى في الغبار [١]، أو قالوا: أطلس اللون؛ وسخ اللون؛ والطُّلسة: لون الخرقة الوسخة [٢].

الأطحل:

يصف الشنفرى وحميد بن ثور الهلالي والأخطل الذئب بأنه، أطحل[٣]: وهو الذي بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد، أي: إن لونه كلون الطحال؛ فهو أكدر اللون.

الأغبس :

الغبسة : لون بين الطلسة والغبرة[٤].

---

(١) أبو العباس، محمد بن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مطبعة نهضة مصر، ١٩٨١م) ج١، ص٢١٦ .

(٢) أبو محمد، القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، شرح ديوان المفضليات ، تحقيق: كارلوس يعقوب لابل (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٢٠م) ص٤٦٦.

(٣) ثابت بن أوس الشنفرى، شعر الشنفرى، تحقيق: علي ناصر غالب (الرياض: مطابع الفرزدق، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ص٧٤ ؛ حميد بن ثور الهلالي، ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق: عبدالعزيز الميمني (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ/١٩٥١م) ص١٠٣ ؛ شعر الأخطل، ج١، ص٣٨٢ .

(٤) الزبيدي، التاج، "غبس".

الأدغم :

هو الذي يكون رأسه أشد سواداً من سائر جسمه[١].

ويبدو أن هذه الألوان متقاربة، ولعلها تكون مترادفة، حتى إن الكُلسَة، وهي من صفاته، كالطلسة [٢].

ولكن جاء في ألوانه أيضاً:

الأشهب:

يصف كعب بن زهير لون الذئب بأنه كلون دخان الرمث، أي كالغبرة، وهي سواد ببياض، يقول:

كَـأَنَّ دُخَـانَ الرِّمْثِ خَالَطَ لَونَـهُ يُغَـلُّ بِه مِـنْ باطِـنٍ وَيُجَلَّـلُ[٣]

ولقد سموه: أبا مَذْقة ؛ لأن لونه يشبه لون المذقة ؛ وقالوا:

جاؤوا بفَيْح هل رأيتَ الذئب قط؟ [٤]

اللون الخاص

أما فيما يتعلق باللون الخاص، وهو لون بعض أجزاء جسم الذئب، فمنه:

لون الرقبة:

هناك معلومة جديدة أضافها عمرو بن معد يكرب حين شبه البياض الذي في

---

(١) أبو العلاء المعري، الفصول والغايات، تحقيق: محمد حسن زناتي (القاهرة: الهيئة الصمرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م) ص٤١٢ .

(٢) الزبيدي، التاج، "كلس".

(٣) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير ، ص٤٩ . يغل: يُدخَل. يجلل: يُعلى ويُظهَر على متنه . شبهه بدخان الرمث ؛ لأنه أبيض تعلوه غبرة، فتكون إلى الزرقة.

(٤) ابن منظور، اللسان، "مذق". المذقة : اللبن الممزوج بالماء. الفيح: اللبن المخلوط.

نحر الذئب تحت غبشة سائر لونه بثوب تحت الدرع، إشارة إلى أن الذئب العربي يتميز بشيء من البياض في جزء من صدره، يقول:

بِهِ السِّرْحَانُ مفترشاً يديه كأنَّ بياض لبَّته صديع[١]

الخاصرة:

ذكر الراعي النميري صفة البياض في خاصرة الذئب، حيث جعل بها وضحاً، فقال:

مُتوضِّح الأقراب فيه شُهبة[٢]

الذراعان:

وقد أوضح الفرزدق أن ذلك اللون الأبيض يمتد حتى يخالط ذراعي الذئب، فيتغير لونهما عن سائر جسده، ولذلك وصفهما بالوشي، يقول:

مَوْشِيُّ الذِّراعَيْنِ[٣]

الكاهل:

يصف ابن مقبل كاهل الذئب بأنه أحمر مما عليه من الدم، وهذا لا يعني أن كاهله "زبرته" أحمر، وإنما هي كناية عن الفتك الشديد، فليس في أوصاف الذئب

---

(١) عمرو بن معد يكرب، ديوان عمرو بن معد يكرب، تحقيق: مطاع الطرابيشي (دمشق: مطبعة مجمع اللغة العربية، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ص١٣٣ .

اللبة: موضع القلادة من العنق. افترش: ربض على ذراعيه ومدهما.

(٢) الراعي النميري، شعر الراعي النميري، تحقيق: نوري حمودي القيسي وهلال ناجي (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ص ص ٦٣ -٦٤ .

متوضح: الوضح: البياض.

(٣) هبة الله بن علي بن حمزة بن الشجري، الحماسة الشجرية، تحقيق: عبدالمعين الملوحي وأسماء الخمصي (دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٧٠م) ج٢، ص٧٢٠ .

العربي أن كاهله أحمر. وإن كان هناك الذئب الأحمر في نيوزيلندة مثلاً.

يقول ابن مقبل:

كأنمـــا بيـــن عينيـــه وزُبْرَتـــــه من صِبْغِهِ في دماء القوم منديل[١]

العيـــون:

يتفق التراث العربي مع التراث العالمي في وصف عين الذئب بأنها: كحلاء. وهكذا أشار الراجز إليها بقوله:

كحـــــــلاء العيـــــــن[٢].

الأذنان:

أذنا الذئب كأذني الكلب، مسترخيتين في حالة الهدوء، ولكن أُذْنَي الذئب تنتصبان إلى أعلى في حالة التحفّز. وقد بيَّن هذا أحد الرجاز، فقال في صفة ذئبه:

مألولـــــــــة الأذنيـــــــن[٣]

فإذا نظرنا بعد ذلك في بقية أجزاء الذئب، فسنجد أن هناك اتفاقاً عامًّا على التخصيص دون التعميم. وذلك على النحو التالي:

الفك والأنياب:

وصف ابن مقبل شدقي الذئب بأنهما مهرتان، أي واسعان، فقال:

حَتَّى احْتَوَى بِكْرَها بالجَـوِّ مُطَّرِدٌ سمعمعٌ أهـرَت الشدقين زُهلُولُ

---

(١) تميم بن أبي بن مقبل، ديوان ابن مقبل، تحقيق: عزة حسن (دمشق: مديرية إحياء التراث، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م) ص٣٨٦. زبرته: أعلى كتفيه، أي شعره، من صبغه: أي بالأكل أو الكرع في الدماء.

(٢) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج١، ص١٩٧.

(٣) المصدر السابق. مألولة: الأذن المؤلّلة، المحدَّدة، المنصوبة، الملطّفة.

كما وصفه الراجز بأنه منهرت أيضاً، ووصف النابين بأنهما حديدان:

مُنْهَرِتَ الشِّـــدْقِ حَدِيدَ النابَيــنِ [١]

وقال راجز آخر، مشبهاً أنيابه بأنها كالشفرة، وأن النار تقدح منهما:

فـــي فَمِـهِ شفرتُهُ ونـــــاره [٢]

ويشير ابن عنقاء الفزاري إلى اعوجاج ناب الذئب وشدة خطورته، فكأن السم فيه مثل ناب الحية، فيقول:

بأعصَلَ في أنيابه السمُّ ناقعُ[٣]

ويستخدم البحتري الصفة نفسها حين يصف أنيابه بأنها عصل، أي معوجة، وأن الصوت كامن فيها، فيقول:

يُقَضقِضُ عُصْلاً في أسرتهـا الردى كقضقضة المقـرور أرعـدهُ البَـرْدُ

وقد قالوا: "إن جوف الذئب يذيب العظم، وكذلك جوف الكلب، ولايذيبان نوى التمر، وهو أضعف من العظم" [٤].

ذلك أن:

"ردُّه لسانه أشدّ مَرّا في اللحم والعصب من لسان البقر في الخَلَى. فأما عَضّته ومَصّته، فليس يقع على شيء عظماً كان أو غيره إلا كان له بالغاً بلا معاناة من شدة

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١٩٧. الزهلول: الخفيف.

(٢) أبو العلاء المعري، رسالة الصاهل والشاحج، تحقيق: عائشة عبدالرحمن (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥م) ص٦٤٣.

(٣) الأصبهاني، الدرة الفاخرة، ج١، ص١١٨.

(٤) علي بن الحسين، الشريف المرتضى، الأمالي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ج٢، ص٢١٣. الأعصل: الناب المِعوَجّ.

فكيه... ومن قلة ثبات العظم له، لا يكون له صوت" [١].

الخَطْم (أنف الذئب):

وُصف خطم الذئب بأن له رأساً مدبباً، وأن منخره أسود، وهو مرثوم الخطم، والرثمة: بياض في طرف الأنف [٢].

قال الراجز:

ومنخـره مـا خُلقـا مُسْوَدَّيْن لِكُـلِّ ريـحٍ نَفَخَـتْ مُعَدَّيْنِ [٣]

ويؤكد الطرماح صفة السواد في أعلى رأس أنف الذئب، أي: منخره، كما هو في جميع الذئاب العربية وغير العربية، فيشبهه بظهر الحنظب، لشدة سواده، فيقول:

عَمَلَّـسُ غـاراتٍ كـأَنَّ مَسافهُ قَرى حُنظُبٍ أخْلَى له الجوُّ مُقْمِحُ [٤]

وقد لاحظوا أن الذئب إذا جاع، سال أنفه، يقول كعب بن زهير:

أُوَيسُ إذا مـا أَنْفُه رَدَمَـا [٥]

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج٦، ص ص ٤٣٦ – ٤٣٧. الخَلى: الرطب في النبات.

(٢) أبو عمرو، عثمان بن بحر الجاحظ، البرصان والعرجان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٣م) ص ٣٠٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ابن حكيم، ديوان الطرماح، ص ص ١٠١ .؛ ابن قتيبة، المعاني الكبيرة، ج١، ص١٩٧.

العملس: الذئب الخفيف الجري الخبيث.

مسافه: خرطومه الذي يسوف فيه، أي: يشم.

القرا: الظهر. الحنظب: الجُعَل.

المقمح: الذي يرفع رأسه، ويغض بصره.

(٥) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص٢٢٤. ردم: سال.

وتجمع الدراسات كذلك على أن للذئب خَطْماً، خرطوماً ممدوداً مدبّباً [١]، يقول ابن مقبل، إن له خرطوماً فيه طول:

وَفِـــي الخُرْطُـــوم تَسهيـــلُ[٢]

الذيـــل:

يختلف ذيل الذئب عن ذيل الكلب في أنه غير ملتو أو منحن. وهذا ما وصفه به البحتري حين شبهه بحبل السقاء لطوله، فقال:

لَهَ ذَنَبٌ مثـلُ الرشـاءِ يجُـرُّهُ [٣]

وهم عندما قالوا:

ذئـــــب أعقـــــــد[٤].

لا يعنون – بالتأكيد – أن في ذنبه التواء كالعقدة فيه، كما في الشاة، وإنما لاحظوا أن هذه الحركة حركة من ذئب في حالة مواجهة، فهو لا يفعل ذلك إلا في مثل هذه الحالة، وإلا فذنبه دوماً ممدود. وهكذا عندما ترفع الذئاب أذنابها، فيُطلق عليها: "العواسر"، لأنها تفعل ذلك من نشاطها.

ويقال للذئب: الشَّيْذُمَان / الشَّيمذان[٥]. لشموذه بذنبه، أي: رفعه.

أما قولهم: "ذنب السِّرحان" [١]، للفجر لاختلاط البياض بالسواد فيه،

---

(١) انظر، خالد بكر كمال، الحياة الفطرية في المملكة العربية السعودية (المدينة المنورة، دار الزمان، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩١م) ص٩٠.

(٢) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص٣٨٦.

(٣) أبو عبادة، الوليد بن عبيد البحتري، ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي (القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٧٣م) الرشاء: الحبل.

(٤) ابن منظور، اللسان، "عقد".

(٥) النويري، نهاية الأرب، ج٩، ص٢٧٠.

ومشابهته لذنب السرحان، فهو قول غير دقيق؛ لأن ذنب الذئب ليس كذلك، وإنما هو مزيج الأبيض بالأسود، أي: أطلس، أو أشهب، أو أغبر، أو نحو هذا؛ وينطبق القول السابق على الغبش، الذي لا يتبين فيه البياض أو السواد.

الضلوع (٢):

ركّز الشعر العربي على تلك القوة في أضلاع الذئب؛ كما قال الأعرابي مشبهاً ضلوعه بالضّال، ولكن في عرض ليس في طول، كما في ذلك المعتقد:

يَنْصُلْـــــنَ مُنْحَـــــدِرَاتِ (٣)

الساقان:

وُصف الذئب في الشعر العربي بأنه: "عاري الأشاجع"، أي: أن عروق ساقيه بارزة، ونسبوا ذلك إلى شدة هزاله، وذكروا أن الحصان العربي أيضاً يشترك كثيراً في هذه الصفة؛ وهذا ليس دليل هزال فيه، وإنما قوة وصلابة. ولذلك، فالمرجح أن هذه الصفة التي فهمها الشُّراح في الذئب على أنها علامة ضعف، هي في الواقع علامة قوة. وقد جمع كعب بن زهير بين طبيعتين للذئب، هما: الإلحاح في الكسب المستمر، وعدم الاحتفاظ بالأكل، أي: الجوع، وأضاف إليهما تلك الصفة: "عارى الأشاجع"، لوصف بروز عروق يديه، فقال:

أَخشى عليها كسوباً غير مُدَّخر عاري الأشاجع لا يُشوي إذا ضغما(٤)

---

(١) ابن منظور، اللسان، "ذنب".

(٢) انظر عن مقاسات أعضاء الذئب العربي: D.L. Harinson, The Mammals of Arabia (London: Ernest Benn. Ltd., 1968) N.2. p. 202-203, 205.

(٣) الحموي، معجم البلدان، "دارة واسط".

(٤) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص٢٢٤. غير مدخر: يريد أن قوته مقدار ما يأكل، ثم يدع الباقي. الأشاجع: العروق المتصلة والأعصاب بالأصابع وأصلها. لا يشوي: لا يخطئ، بل يصيب المقتل. الضغم: الغضب.

ويوضح كعب في قصيدة ثانية الصفة اللازمة الأخرى للذئب أي: بروز عِرق ساقه كالوَتَر، في الحالتين، شتاءً إذا ما توافر لديه الغذاء، وصيفاً إذا شح الغذاء عليه، فيقول:

تـراه سمينـاً مـا شتـا وكأنـه حَمِيٌّ إذا مـا صاف أو هو أهزل

كأَنَّ نَسَاهُ شِرعَةٌ [١]

والملاحظة التي أبداها الراعي على الذئب أنه عندما يعدو، فيقارب خطوه، يبدو كأن يديه قُيِّدتا بقيد: "تخاله مشكولاً" [٢]. وقد علل الطرماح ما يظهر من انحناء في يديه على أنه يعود إلى إقعائه أي: جلوسه مفترشاً رجليه، وناصباً يديه، وهو يشير إلى طريقة مشيه:

مـنَ الزَّلِّ هِـزلاجٌ كـأن برجله شِكالاً مـن الإقعاءِ وهو مَلُوعُ [٣]

وفي بيت ابن مقبل تشبيه دقيق لمشية الذئب بالقناة يقول:

كالرُّمْحِ أرقَلَ في الكفَّينِ واطَّرَدَتْ منهُ القناةُ وفيهـا لهـذمٌ غولُ[٤]

كما أشار الشاعر (المجهول) الذي لقي الذئب في الطريق، فحمله معه، إلى قوة أظافره، لتمسكه بنسع ناقته، فقال:

وقَدَ عَلِقَتْ في النِّسْعَتَينِ أظافره [٥]

---

(١) المصدر نفسه، ص ص ٤٩-٥٠. حمي: مُحْتَم.

(٢) النميري، شعر الراعي النميري، ص٦٤. مشكول: مقيّد.

(٣) ابن حكيم، ديوان الطرماح، ص١٨٩. الزل: جمع أزل، وهو الخفيف. الهزلاج: السريع الخفيف. الشكال: الحبل الذي تشد به قوائم الدابة. الملوع: الخفيف السريع.

(٤) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص٣٨٦.

أرقل: اضطرب. اللهذم: السنان الحاد. اطراد القناة: تتابع كعوبها حتى تحرك من لينها واستقامتها. غول: الذي يغتال كل ما ظفر به.

(٥) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج١، ص٢٠٦. النسعتان: مثنى نِسعة، وهي سير مضفور يُجعل زِماماً للبعير.